

جامعة الزقازيق
معهد الدراسات الاسيوية
قسم مقارنة الاديان

بحث بعنوان

الآراء الاعتقادية وقضية الكفر

للشيخين (محمد بن عبد الوهاب ومحمد رشيد رضا)

رحمهما الله.

إعداد الباحث

عبد الفتاح عبد العزيز محمد علي السيد

تحت إشراف

الأستاذ الدكتور/محمد عبد الرحيم البيومي

عميد كلية أصول الدين بالزقازيق

الأستاذ الدكتور/محمد محمود عبد الحميد أبوقحف

أستاذ الفلسفة الإسلامية والتصوف بكلية آداب الزقازيق

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، وعلى أله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الهداة المهديين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الأول والآخر والظاهر والباطن، وأن محمدا عبده ورسوله سيد المرسلين، خير من أرسله الله هداية للناس؛ فأدى الرسالة، وبلغ الأمانة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة؛ فجزاه الله تعالى خير ما جزى به نبيا عن أمته ورسولا عن رسالته.

وبعد؛ فإن الله -تعالى- لم يخلق الخلق عبثا؛ كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾^(١)، وقال تعالى منكرًا على من ظن هذا الظن: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾^(٣)؛ فإنه لا يليق في حكمة الحكيم أن يترك الناس سدى مهملين، ولا يؤمرون، ولا ينهون، ولا يثابون ولا يعاقبون؛ كما لا يليق بعدله وحكمته أن يسوي بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر

وقد رزق الله تعالى هذه الأمة في كل عصر من العصور بمن يحيي فيهم علم السلف، ويبعثه على حقيقته الناصعة، ومنهجه القويم، ويدعو الناس إليه ويأمرهم باتباعه، مصداق قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»^(٤).

وممن هؤلاء العلماء الذين بعثوا منهج السلف في العصر الحديث، وناصروه، ودعوا إليه الشيخان الكبيران:

(١) محمد بن عبد الوهاب (١٧٩٢م).

(٢) محمد رشيد رضا. (١٩٣٥م).

فأما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد قام بحركة دعوية كبيرة في منطقة نجد، وكانت دعوته قائمة على المنهج السلفي المؤسس على أساسي الكتاب والسنة من خلال فهم سلف الأمة.

وأما الشيخ محمد رشيد رضا فقد كتب الكثير من المؤلفات التي يشجع فيها الحركة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويرفض فيها ما علق بثوب الدين الإسلامي الحنيف

(١) سورة ص، الآية: (٢٧).

(٢) سورة المؤمنون، الآية: (١١٥).

(٣) سورة القيامة، الآية: (٣٦).

(٤) أخرجه الإمام أبو داود في سننه، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، (٤/١٠٩)، رقم (٤٢٩١).

عبر القرون المتطاولة من أشياء ومعتقدات بعيدة عن معتقد السلف الصالح، وعن منهجه القويم في فهم كتاب الله - سبحانه وتعالى - وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

ويحاول الباحث في هذه الدراسة التي هي بعنوان (الأراء الاعتقادية وقضية الكفر للشيخين: محمد بن عبد الوهاب، ومحمد رشيد رضا) أن يدرس أوجه الاتفاق والاختلاف الفكرية والعقدية بين منهجي الشيخين، من خلال استنباط قواعد المنهج الذي قام عليه كل من الشيخين من كتبه ومقارنة قواعد كل منهج بغيرها.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١- الرغبة في إبراز الأراء الاعتقادية بين منهجي الشيخين التي تتسم بالكثرة على الرغم من وحدة الهدف والغاية.
- ٢- الرغبة في تقديم نموذج مقارن بين منهجي الشيخين في الأراء الاعتقادية وخاصة قضية الكفر ، مما يسهم في الإجابة على تساؤلات تشغل بال العديد من الباحثين أو حتي عوام الناس.

أهمية الموضوع:

تكمن أهمية هذا الموضوع في النقاط التالية:

- ١- تأثير الشيخين محمد بن عبد الوهاب، ومحمد رشيد رضا الكبير في الدعوة السلفية في العصر الحديث.
- ٢- بروز أوجه كثيرة من وجوه الإتفاق أو الاختلاف إن وجد بين منهجي الشيخين في الأراء الاعتقادية وقضية الكفر .
- ٣- تقديم نموذج تطبيقي للاختلاف في الطريقة مع توحيد الهدف

منهج البحث:

لقد سلكت في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي المقارن؛ لوصف أهم القواعد التي قام عليها منهج الشيخين، وبيان أهم نقاط الاتفاق والاختلاف بين منهجهما في الدعوة إلى مذهب السلف الصالح.

ويعتبر بعض الباحثين أن المنهج الوصفي يشمل كافة المناهج الأخرى، باستثناء المنهجين التاريخي والتجريبي؛ حيث إن عملية الوصف والتحليل للظواهر تكاد تكون مسألة مشتركة وموجودة في كافة أنواع البحوث العلمية، ويعتمد المنهج الوصفي على تفسير الوضع القائم؛ أي ما هو كائن، وتحديد الظروف والعلاقات الموجودة بين المتغيرات، كما يتعدى المنهج الوصفي مجرد جمع بيانات وصفية حول الظاهرة، إلى التحليل والربط والتفسير لهذه البيانات وتصنيفها وقياسها واستخلاص النتائج منها^(٥).

وأما الجانب الإجرائي:

- ١- عزو الآيات إلى مواضعها في المصحف، وذلك بذكر اسم السورة ، ورقم الآية.
- ٢- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة الواردة في ثنايا البحث من كتب الحديث ، فإن كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما اكتفيت بذكر الصحيحين ولا في أحدهما خرجته من كتب الحديث الأخرى المشهورة ، كمسند أحمد ، والسنن ، وصحيح ابن حبان وابن خزيمة، مع الحكم عليه غالباً من أهل الاختصاص .
- ٣- توثيق المادة العلمية من كلام أهل العلم.

خطة البحث :

وينقسم هذا البحث الي مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة

الفصل الأول بعنوان : الآراء الاعتقادية بين الشيخين وينقسم الي ثلاثة

مباحث :

- المبحث الأول: توحيد الربوبية.
- المبحث الثاني: توحيد الألوهية.
- المبحث الثالث: الأسماء والصفات.

(٥) تطور الفكر التربوي" لأحمد وسعد مرسي (ص٩٦)، ط١٠ عالم الكتب - القاهرة، ١٩٨٦م.

الفصل الثاني بعنوان : قضية الكفر بين الشيخين، وينقسم إلى ثلاثة مباحث

- المبحث الاول : تعريف الكفر لغة واصطلاحاً.
- المبحث الثاني : ضوابط الكفر عند أهل السنة والجماعة.
- المبحث الثالث: موقف الشيخين من فتنة الكفر.

المبحث الأول

توحيد الربوبية

وأما التوحيد فهو ثلاثة أنواع: توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات. ٦
توحيد الربوبية أو معرفة الله:

توحيد الربوبية يعنى " الاقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكة وخالقه ورازقه وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله وبيده الخير كله القادر على ما يشاء ليس له في ذلك شريك ويدخل في ذلك الإيمان بالقدر وهذا التوحيد لا يكفي العبد في حصول الإسلام بل لابد أن يأتي مع ذلك بلازمه من توحيد الألوهية لأن الله تعالى حكى عن المشركين أنهم مقرون بهذا التوحيد لله وحده قال تعالى " قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون" ٧ يونس آية (٣١) والرب عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب "فمعناه المالك المتصرف" ٨ فالله تعالى مالك كل شيء وهو المتصرف فيه، وهذا حق، ولكن أقر به عباد الأصنام الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما ذكر الله عنهم في القرآن في غير موضع كقوله تعالى: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ} - إلى قوله - {قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ} يونس آية (٣١) وعليه فالشيخ ابن عبد الوهاب يقر بتوحيد الربوبية ولكنه لا ينفع معتقده وحده بل لابد معه من توحيد الألوهية وكذلك توحيد الأسماء والصفات، كما سيأتي بيانه في حينه.

أما توحيد الربوبية عند الشيخ محمد رشيد رضا فمعناه " توحيد الربوبية، وهو انفراده تعالى بالخلق والتقدير والتدبير والتشريع الديني" ٩ والشيخ يثبت توحيد الربوبية من خلال آيات الله ودلائل خلقه سبحانه وتعالى فيقول " وَالْقُرْآنُ يُثَبِّتُ دَلَالِلَ الرُّبُوبِيَّةِ ... تَارَةً يَدُلُّهُمْ بِالْآيَاتِ الْمَخْلُوقَةِ عَلَى وُجُودِ الْخَالِقِ وَيُثَبِّتُ عِلْمَهُ وَقُدْرَتَهُ وَحَيَاتَهُ ، وَتَارَةً يَدُلُّهُمْ بِالنِّعَمِ وَالْآيَاتِ عَلَى وُجُودِ بَرِّهِ وَإِحْسَانِهِ الْمُسْتَلْزِمِ رَحْمَتَهُ" ويقول أيضا " ١٠ وَأَمَّا وَحْدَانِيَّةُ الرُّبُوبِيَّةِ فَهِيَ قَوْلُهُ : (وَلَا يَتَّخِذُ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ) فَالرُّبُوبُ : هُوَ السَّيِّدُ الْمُرِّي الَّذِي يُطَاعُ فِيمَا يَأْمُرُ وَيَنْهَى ، وَالْمُرَادُ هُنَا مَنْ لَهُ حَقُّ التَّشْرِيعِ" ١١ والشيخ رحمه الله تعالى قد فرق صراحة بين نوعين من التوحيد وهما توحيد الألوهية

٦ الرسالة المفيدة (٣٩) المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) المحقق: محمد بن عبد العزيز المانع الناشر: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

٧ تيسير العزيز الحميد (١٨) سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب/ مكتبة الرياض الحديثة - الرياض
٨ تفسير آيات من القرآن الكريم (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الخامس/ص ١١) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي/ جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٩ الوحي المحمدي (١٢٢) محمد رشيد رضا

١٠ تفسير المنار (١٦٨/٣)

١١ تفسير المنار (٢٦٩/٣)

وتوحيد الربوبية فقال " وَلَمَّا كَانَ التَّوْحِيدُ الَّذِي هُوَ لِبَابِ الدِّينِ وَرُوحُهُ نَوْعَيْنِ - تَوْحِيدَ الرُّبُوبِيَّةِ وَتَوْحِيدَ الإِلَهِيَّةِ - بَيَّنَّ كُلًّا مِنْهُمَا بِالآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ ، وَلَمَّا كَانَ الشِّرْكَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ قَلِيلًا فِي النَّاسِ وَالشِّرْكَ فِي الإِلَهِيَّةِ دُونَ الرُّبُوبِيَّةِ هُوَ الكَثِيرُ الفَاشِي ، وَعَلَيْهِ سَوَادُ جَاهِلِيَّةِ العَرَبِ الأَعْظَمِ ، بُنِيَ القَوْلُ بِبُطْلَانِ هَذَا عَلَى بُطْلَانِ ذَلِكَ" ١٢

وكما أن الشيخ ابن عبد الوهاب يرى أنه لا ينفع توحيد الربوبية وحده العبد دون استكمال باقي أنواع التوحيد فكذلك الشيخ رشيد يرى أنهما متلازمان وأن " هَذَا الرَّبُّ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ هُوَ الحَقِيقُ بِالْأُلُوهِيَّةِ وَحَدَهُ ، وَأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يُدْعَى غَيْرُهُ وَلَا أَنْ يُعْبَدَ سِوَاهُ؛ لِأَنَّ الرُّبُوبِيَّةَ وَالْأُلُوهِيَّةَ مُتَلَازِمَتَانِ" ١٣ والتَّوْحِيدُ بِقِسْمَيْهِ، تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ بِالإِيمَانِ وَتَوْحِيدِ الأُلُوهِيَّةِ بِالإِيمَانِ وَالْعَمَلِ - أَي عِبَادَةِ اللَّهِ وَحَدَهُ - هَمَّا أَصْلُ الدِّينِ وَأَسَاسُهُ، وَالرُّكْنُ الأَوَّلُ لِعَقَائِدِهِ ١٤ فهما يتفقان على أن توحيد الربوبية وحده لا ينفع دون توحيد الألوهية، فالشيخ محمد بن عبد الوهاب يؤكد في جُلِّ ما دونه من كتب على هذه الحقيقة الثابتة فقد دون في كتابه أصول الإيمان " باب معرفة الله عز وجل والإيمان به.... فإذا عرفت أن الله خلقك لعبادته فاعلم أَنَّ العبادَةَ لا تسمى عبادَةَ إلا مع التوحيد" ١٥ .

من السابق يتضح لنا توافق الشيخين فيما ذهبا إليه حول مفهوم توحيد الربوبية وتلازمها وعدم انفكاكهما وكون صاحبه لا ينفعه ذلك ما لم يأت بلأزمه من توحيد الألوهية والذي هو معنى (لا إله إلا الله) والذي سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى.

١٢ السابق(٢٤٠/٨)

١٣ السابق (٢٥٢/٧)

١٤ السابق (٢٥٦/٩)

١٥ "أصول الإيمان" ص(٢٧) الإمام محمد بن عبد الوهاب ، تحقيق باسم فيصل الجوابرة/وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية

المبحث الثاني: توحيد الألوهية

معنى (لا إله إلا الله)

هذا القسم من التوحيد هو أهم وأعظم أقسام التوحيد على الإطلاق والتي عنى بها كلا الشيخين ولم يتوقفا عن الدعوة إليه وبيانه وبيان ما وقع الناس فيه من انحراف وضلال والذى بسببه قامت دعوة التوحيد، التي حمل لواءها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والتي نافح أيضا عنها الشيخ محمد رشيد رضا في مناره وبيّن للناس ما وقع فيه أغلب المتصوفة وعامتهم من انحراف وأخطاء كان الإسلام منها بريء بل إن كلا الشيخين دعا الناس إلى ترك التبرك بالقبور وإخلاص العبادة لله وحده دونما سواه، فقد عقد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بابا في كتاب التوحيد " باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله " ثم شرع في بيان ما يناقض تلك الشهادة؛ من شركيات وبدع نهى عنها الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فيقرر معنى هذه الكلمة قائلاً " فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه و سلم إلينا على حين فترة من الرسل فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام وأعظم ذلك وأكبره وزيدته هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك وهو أن لا يدعي أحد من دونه من الملائكة والنبیین فضلاً عن غيرهم فمن ذلك أنه لا يُسجد إلا لله ولا يُركع إلا له ولا يدعى لكشف الضر إلا هو ولا لجلب الخير إلا هو ولا ينذر إلا له ولا يحلف إلا به ولا يذبح إلا له وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له وهذا معنى قول لا إله إلا الله فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه وهذا أمر هين عند من لا يعرفه كبير عظيم عند من عرفه فمن عرف هذه المسألة عرف أن أكثر الخلق قد لعب بهم الشيطان وزين لهم الشرك بالله وأخرجه في قالب حب الصالحين وتعظيمهم." ١٦

ثم "فاعلم أن التوحيد الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم أفراد الله بالعبادة كلها ليس فيها حق لملك مقرب ولا نبي مرسل فضلاً عن غيرهم، فمن ذلك لا يدعي إلا إياه كما قال تعالى (وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحدا) فمن عبد الله ليلاً نهاراً ثم دعا نبينا أو ولياً عند قبره فقد اتخذ الهين اثنين ولم يشهد أن لا إله إلا الله لأن الإله هو المدعو كما يفعل المشركون اليوم عند قبر الزبير أو عبد القادر أو غيرهم وكما يفعل قبل هذا عند قبر زيد وغيره ومن ذبح لله

١٦ الرسالة التاسعة عشر ضمن مؤلفات الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب (١٢٤) تحقيق : عبد العزيز زيد الرومي ، د. محمد بلتاجي ، د. سيد حجاب

ألف ضحية ثم ذبح لنبي أو غيره فقد جعل إلهين ١٧ وكما قسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب التوحيد على أقسام ١٨ كذلك جعل الشرك على أقسام؛ فقسّم الشرك إلى قسمين : أولاً : شرك أكبر : وهو الذي لا يغفره الله إلا بالتوبة ، وصاحبه إن لقي الله به فهو خالد مخلد في النار أبد الأبدين ودهر الدهرين ، قال تعالى : (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء).

ثانياً : شرك أصغر : وصاحبه إن لقي الله به فهو تحت المشيئة ، إن شاء الله عفا عنه وأدخله الجنة ، وإن شاء عذبه ، ولكن مآله إلى الجنة .

ومن أنواع الشرك الأصغر : الحلف بغير الله ، وإن لم يقصد تعظيم المحلوف به ومنه يسير الرياء والتصنع للخلق " ١٩. والناظر في مؤلفات الشيخ يجد تأكيده دائماً وأبداً على مسائل الشرك وضرورة تقوية العبادة من أدران البدع والخرافات التي ابتدعها الناس لقلّة العلم وفشو الجهل والفقر والشتات التي كانت فيه شبه الجزيرة العربية وبلاد الحجاز عامة.

أما الشيخ محمد رشيد رضا فكان اهتمامه منصبا على تقوية التوحيد من الخرافات التي لحقت به وكان شديد الإنكار على المتزلفين للقبور والمتمسحين بأعمدة المساجد والذين يندرون لغير الله تعالى ودعوة الشيخ رشيد رضا إلى توحيد الألوهية تختلف إلى حدٍ ما عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فالشيخ محمد بن عبد الوهاب كان معتمده الأول في إثبات توحيد الألوهية هو السمع والفطرة ثم بعد ذلك يأتي الدليل العقلي مؤكداً ما جاء به الرسل من عند ربهم أما الشيخ رشيد فكان موقفه كما يقول عن أستاذه الإمام محمد عبده في كونه قال أنه "لَا بُدُّ أَنْ يَكُونَ الْبُرْهَانُ عَلَى الْأُلُوْهِیَّةِ وَالنُّبُوَّةِ عَقْلِيًّا ، وَإِنْ كَانَ الْإِرْشَادُ إِلَيْهَا سَمْعِيًّا " ٢٠ فعقب الشيخ رشيد على ذلك قائلاً " كَانَ الْأُسْتَاذُ قَدْ أَطْلَقَ اسْتِرَاطَ الْبُرْهَانِ الْعَقْلِيِّ هُنَا كَمَا أَطْلَقَهُ فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى تَقَدَّمَ بَعْضُهَا وَالْبَحْثُ فِيهِ ، ثُمَّ قَيَّدَهُ هُنَا بِمَا بَيَّنَّ بِهِ حَطَأَ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي اسْتِرَاطِهِمُ الْبُرَاهِينَ الْمُنْطَقِيَّةَ الَّتِي سَمَّوْهَا قَطْعِيَّةً عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَلَلٍ وَعِلَلٍ ، وَالْحَقُّ أَنَّ اطْمِئْنَانَ الْقَلْبِ بِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مِنْ غَيْرِ تَرَدُّدٍ وَلَا اضْطِرَابٍ كَافٍ فِي النَّجَاةِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَنَّ أَفْضَلَ الْأَدِلَّةِ مَا أُرْسِدَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ مِنَ النَّظَرِ فِي آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَنْفُسِ وَالْأَفَاقِ ، فَبِدَاهَةُ الْعَقْلِ فِيهِ كَافِيَةٌ عِنْدَ سَلِيمِ الْفِطْرَةِ الَّذِي لَمْ يُبْتَلْ بِشُكُوكِ الْفَلَسَفَةِ وَجَدَلِيَّاتِ الْمُتَكَلِّمِينَ وَلَا بِتَقْلِيدِ الْمُبْتَطِلِينَ " ٢١. والشيخ رشيد على خلاف الشيخ محمد بن عبد الوهاب في تقسيم التوحيد فقد ذكر أن "الشرك به نوعان: أحدهما: يتعلق بالألوهية والعبادة وهو أن يعتقد المرء أن في الخلق من

١٧ الرسالة الرابعة والعشرون ضمن مؤلفات الشيخ (١٦٦) تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي.

١٨ الرسالة الثامنة عشر (١٢٠) ضمن مؤلفات الشيخ/تحقيق: عبد العزيز زيد الرومي

١٩ كتاب الوحي (١١) محمد بن عبد الوهاب

٢٠ تفسير المنار (١٩٢/١)

٢١ السابق نفسه.

يشاركه تعالى أو يعينه في أفعاله، أو يحمله على بعضها ويصده عن بعض بشفاعته عنده لأجل قرينة منه، كما يكون من بطانة الملوك المستبدين، وحواشيهم وحجابهم وأعاونهم، فهو يتوجه إلى هذا المؤثر عند الله بزعمه عندما يتوجه إليه تعالى في الدعاء فيدعوه معه، وقد يدعوه من دونه عند شدة الحاجة، لكشف ضرر أو جلب نفع أعيته أسبابه وهذا مخ العبادة، وتأتيهما: يَتَعَلَّقُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَهُوَ إِسْنَادُ الْخَلْقِ وَالتَّدْبِيرِ إِلَى غَيْرِهِ مَعَهُ ، أَوْ أَنْ تُؤَخَذَ أَحْكَامُ الدِّينِ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّحْلِيلِ وَالتَّحْرِيمِ عَنْ غَيْرِهِ ؛ أَي : غَيْرِ كِتَابِهِ وَوَحْيِهِ الَّذِي بَلَّغَهُ عَنْهُ رُسُلُهُ بِحُجَّةٍ أَنْ مَنْ يُأْخَذُ عَنْهُمْ الدِّينُ مِنْ غَيْرِ بَيَانِ الْوَحْيِ أَعْلَمُ بِمُرَادِ اللَّهِ فَيُتْرَكُ الْأَخَذُ مِنَ الْكِتَابِ لِرَأْيِهِمْ وَقَوْلِهِمْ ٢٢

تعليق:

والشيخ رشيد برغم قوته العلمية إلا أنه تغافل عن تحديد معنى شهادة التوحيد وحاشا أن ننتهمه في دينه بل كان الشيخ يحمل المعنى مجملا وذلك ناتج عن تأثره بمذهب الأشاعرة الذي كان سائدا في عصره حتى يومنا هذا والذي كان مذهب الأزهر الشريف ٢٣ فقد كان معلمه الأول الشيخ محمد عبده أشعريا، وليس أدل على ذلك أنه لما تعمق في الدراسة أدرك أن مذهب السلف من الحنابلة هو الصواب، وأنهم لم يعرفوا التأويل الذي قاله صاحب الجوهرة ٢٤ أو غيره فيقول عن مذهب الأشاعرة الذي كانت له الكلمة العليا في ذلك الوقت " مُلْحَصُ مَا يُقَنَّ الطُّلَّابُ فِي هَذَا الْعَصْرِ ، كَتَبْنَاهُ مِنْ غَيْرِ مُرَاجَعَةٍ لِهَذِهِ الْكُتُبِ الْقَاصِرَةِ الَّتِي اعْتَمَدَ عَلَيْهَا بَعْضُ الدَّارِسِينَ فَلْيُرَاجِعْهَا مَنْ شَاءَ فِي حَاشِيَةِ الْجَوْهَرَةِ لِلْبَاجُورِيِّ عِنْدَ قَوْلِ الْمَثْنِ :

وَكُلُّ نَصٍّ أَوْهَمَ التَّشْبِيهَا ... أَوْلُهُ أَوْ فَوْضٌ وَرُمٌ تَنْزِيهَا

وَكُنَّا نَظُنُّ فِي أَوَائِلِ الطَّلَبِ أَنَّ مَذَهَبَ السَّلَفِ ضَعِيفٌ وَأَنَّهْمُ لَمْ يُأْوِلُوا كَمَا أَوْلَ الْخَلْفُ لِأَنَّهْمُ لَمْ يَنْبُلُغُوا مَبْلَغَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَالْفَهْمِ لَا سِيَّمَا الْحَنَابِلَةُ كُلُّهُمْ أَوْ بَعْضُهُمْ . وَلَمَّا تَعَلَّلْنَا فِي عِلْمِ الْكَلَامِ وَظَفَرْنَا بَعْدَ النَّظَرِ فِي الْكُتُبِ الَّتِي هِيَ مُنْتَهَى فَلَسَفَةِ الْأَشَاعِرَةِ فِي الْكَلَامِ بِالْكِتَابِ الَّتِي تُبَيِّنُ مَذَهَبَ السَّلَفِ حَقَّ الْبَيَانِ لَا سِيَّمَا كُتُبَ ابْنِ تَيْمِيَّةَ عَلِمْنَا عِلْمَ الْيَقِينِ أَنَّ مَذَهَبَ السَّلَفِ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَيْسَ وَرَاءَهُ غَايَةٌ وَلَا مَطْلَبٌ وَأَنَّ كُلَّ مَا خَالَفَهُ فَهُوَ ظَنُّونٌ وَأَوْهَامٌ لَا تُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا". وهذا نص صريح في رفضه رحمه الله تعالى لمذهب الأشاعرة، برغم من تأثره به ردحا من الزمن،

٢٢ تفسير المنار (٤٥/٢)

٢٣ مجلة المنار (٢٣١/١)

٢٤ جوهرة التوحيد، أحد أهم متون علم العقيدة والكلام عند أهل السنة والجماعة من الأشاعرة لمؤلفه إبراهيم اللقاني المالكي والمتوفى سنة 1041 هـ، وهو عبارة عن منظومة شعرية تتألف من ١٤٤ بيت شعري، والتي أولها:

الحمد لله على صلاته
على نبي جاء بالتوحيد

ثم سلام الله مع صلاته
وقد خلا الدين عن التوحيد

وهذا ملاحظ من خلال حديثه السابق عن أقسام التوحيد فقد كان الأشاعرة يهملون جانب توحيد الألوهية في حديثهم عن التوحيد وأغلب الحديث عن جانب توحيد الربوبية فلم يتعرض له المتكلمون ولم ينتبهوا إلى أنه قطب رحى القرآن. ٢٥

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب لكونه لم يتلبس بمذاهب أخرى غير مذهب السلف فلم يعرف عنه ذلك الأمر في أنه تغافل عن جانب من جوانب التوحيد أو مال إلى العقل كما سنرى في مبحث الأسماء والصفات والتي تابع فيها الشيخ محمد رشيد رضا منهج الأشاعرة وإن كان قد تبرأ منه في بعض الأحيان، أو متابعتة للمدرسة العقلية التي تجعل من العقل حاكما على النص كما كان الحال عند الشيخ محمد عبده شيخه ومعلمه .

٢٥ "الإشارة إلى مذهب أهل الحق" (٩٠) لأبي إسحاق الشيرازي / تحقيق الدكتور محمد السيد الجليند / ط. المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .

المبحث الثالث

الأسماء والصفات

كان موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب واضح وجلى من أسماء الله وصفاته، وكان منهجه الذي سار عليه هو منهج شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فلم نر الشيخ يؤل صفة من صفات الله تعالى أو يلحد اسم من أسمائه فيقول "قول الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾ {الأعراف (١٨٠)} ذكر ابن أبي حاتم عن ابن عباس: "؟" ﴿يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾: يشركون". وعنه: "سموا اللات من الإله، والعزى من العزيز".

وعن الأعمش: "يدخلون فيها ما ليس منها".

فيه مسائل:

الأولى: إثبات الأسماء.

الثانية: كونها حسنى.

الثالثة: الأمر بدعائه بها.

الرابعة: ترك من عارض من الجاهلين الملحدين.

الخامسة: تفسير الإلحاد فيها.

السادسة: وعيد من ألحد.

والشيخ رحمه الله تعالى لا يتدخل في النصوص مطلقاً

ويثبت جميع صفات الله العليا، وأسماءه الحسنى كما نطق الكتاب، وجاءت به السنة الصحيحة من صفة: العلم، والسمع، والبصر، والقدرة، والإرادة، والكلام، والاستواء على العرش، والنزول كل ليلة إلى سماء الدنيا، وسائر الصفات الذاتية والفعلية والخبرية. يؤمن بها، ويمرّها كما جاءت من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل" ٢٦. ومن الإيمان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه، وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فلا أنفي عنه، ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أسمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته بصفات خلقه، لأنه تعالى لا سمي له ولا كفو، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه وتعالى أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً. فنزّه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكييف والتمثيل، وعما نفاه عنه النافون، من أهل التحريف والتعطيل، فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾. فالفرقة الناجية وسط في باب

٢٦ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه المؤلف: أحمد بن حجر بن محمد بن طامي/ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة الطبعة: ١٣٩٥ هـ/ ١٩٧٥ م

أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية" ٢٧. وقد استدل بأقوال السلف الصالح فقال " وما أحسن ما قال نعيم بن حماد، شيخ البخاري : من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه، فقد كفر؛ وليس ما وصف الله به نفسه، ورسوله، تشبيهاً؛ وقد قال الله تعالى: (ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) ٢٨ " فيقال في النزول: النزول معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعه؛ وهذا يقال في سائر الصفات، الواردة في الكتاب، والسنة" ٢٩، وفي حديثه عن القرآن فيقول " وأما القرآن، فهو صفة لله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، من هذه الأمة، من الصحابة، والتابعين لهم بإحسان، والله سبحانه وتعالى، هو الذي تكلم به، وسمعه جبرائيل من الله، وبلغه جبرائيل إلى محمد؛ وبلغه محمد - صلى الله عليه وسلم - إلى أمته، فالكلام كلام الباري، والصوت صوت القاري" ٣٠

من خلال ما سبق يتضح لنا موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأسماء والصفات، وكيف أنه كان على منهج السلف الصالح في قبول تلك الصفات وعدم تأويلها أو تحرر . أما موقف الشيخ رشيد فقد جاء في بعض الأحيان مختلفاً وما ذلك إلا لكونه نشأ على كتب الأشاعرة إلا أن الشيخ رحمه الله تعالى يقرر منهج السلف فيقول " فَسَلَفُ الْأُمَّةِ يُمِرُّونَ هَذِهِ الْأَيَاتِ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ " ٣١ يقصد آيات الصفات ويؤكد أيضاً منهج السلف الصالح ليس الأشاعرة والمتكلمين فيقول " وَقَدْ انْتَهَى سُخْفُ بَعْضِ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي التَّأْوِيلِ إِلَى جَعْلِ صِفَاتِ الْبَارِي تَعَالَى سَلْبِيَةً " ٣٢

ويقرر الشيخ منهجه صراحة قائلاً: "فَالْحَقُّ الَّذِي مَضَى عَلَيْهِ سَلَفُ الْأُمَّةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى وَصِفَ بِكُلِّ مَا وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ وَوَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّ جَمِيعَ تِلْكَ الصِّفَاتِ تُطْلَقُ عَلَيْهِ مَعَ تَنْزِيهِهِ عَنِ مُشَابَهَةِ مَنْ تُطْلَقُ عَلَيْهِمُ الْأَفَاطُهَا مِنَ الْخَلْقِ ، فَعَلِمَ اللَّهُ وَقُدِّرَتْهُ وَكَلَامُهُ وَعُلُوُّهُ وَسَائِرُ صِفَاتِهِ شُؤُونَ تَلِيْقُ بِهِ لَا تُشْبِهُ عِلْمَ الْمَخْلُوقِينَ وَقُدِّرَتْهُمْ وَكَلَامَهُمْ وَعُلُوُّ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ " ٣٣. حتى أنه ينتقد على الأشاعرة تعصبهم وغلوهم في بعض الأحيان فيقول:

"وَقَدْ غَلَا بَعْضُ الْأَشْعَرِيَّةِ فِي الْقُرُونِ الْوُسْطَى فِي التَّأْوِيلِ غُلُوًّا الْجَهْمِيَّةِ وَالْمُعْتَرِزَةَ أَوْ أَشَدَّ ، حَتَّى إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَعْرَزُوا السَّلَاطِينَ بِسَجْنِ شَيْخِ الْإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ لِذِكْرِ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثِ فِي

٢٧ القدرية: تسند الفعل إلى العبد، وتجعله خالفاً لفعل نفسه من خير أو شر. وخالفتهم الجبرية، وقالت: العبد مجبور على الفعل من خير أو شر، فالعبد كالريشة في مهب الأرباح. من رسالة ابنه الشيخ عبد الله بعد دخول الإمام سعود مكة المكرمة سنة ١٢١٨.

٢٨ الدرر السنية في الكتب النجدية (١٤) تأليف : علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم . الطبعة : السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

٢٩ السابق نفسه

٣٠ السابق ص(١٥)

٣١ تفسير المنار (٢٨٢/٧)

٣٢ السابق نفسه .

٣٣ السابق نفسه .

كُتِبَهُ وَدُرُوسِهِ كَصِفَةِ عُلُوِّ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى خَلْقِهِ ، وَمِنْهَا اسْمُ الْعَلِيِّ وَالْمُتَعَالِ ، وَمِنْهَا آيَاتُ
الِاسْتِوَاءِ عَلَى الْعَرْشِ ، وَأَحَادِيثُ النُّزُولِ مِنَ السَّمَاءِ ، وَانْتَهَى بِهِمُ الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَطْلُبُوا مِنْهُ التَّوْبَةَ
مَنْ نَكَرَ هَذِهِ الْآيَاتِ وَالْأَحَادِيثَ لِلْعَامَّةِ ، وَأَنْ يَتَعَهَّدَ بِذَلِكَ كِتَابَةً ، وَهَذَا مِنْ أَعْجِيبِ تَعَصُّبِ
الْمَذَاهِبِ ، وَالْعُرُورِ فِي تَحْكِيمِ الْعَقْلِ" ٣٤.

ونقد الشيخ كذلك مسلك الأشاعرة في طريقتهم حيث قال في حديثه عن كلام الله تعالى ما نصه "
فَإِنَّ أَكْثَرَ مُتَكَلِّمِي الْأَشْعَرِيَّةِ قَدْ عَقَّدُوها تَعْقِيدًا شَدِيدًا بِمَا حَاوَلُوا بِهِ التَّوْفِيقَ بَيْنَ نُصُوصِ أُمَّةِ
السُّنَّةِ وَنَظَرِيَّاتِ الْعَقْلِ" ٣٥

"وَهَذِهِ فَلَسَفَةً مَرْدُودَةٌ مُخَالَفَةٌ لِمَذْهَبِ السَّلَفِ كَأَمْثَالِهَا مِنْ تَأْوِيلِ سَائِرِ الصِّفَاتِ" ٣٦. وقد وقع من
الشيخ بعضا من التأويل مثل قوله: "فَإِنَّ لَمْ يَطْمَئِنَّ قَلْبُكَ إِلَّا بِتَأْوِيلِ يَرْضَاهُ أُسْلُوبُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ
فَلَا حَرَجَ عَلَيْكَ" ٣٧ فيقول عن إثبات الله تعالى يوم القيامة في قوله تعالى: (هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ
يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِنَ الْعَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَفُضِيَ الْأَمْرُ وَالِي اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) البقرة (٢١٠).
"فَحَسْبُنَا أَنْ نَقُولَ عَلَى رَأْيِ مَنْ فَسَّرَ إِثْبَانَ اللَّهِ هُنَا بِإِثْبَانِ أَمْرِهِ وَمَا وَعَدَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ، أَوْ إِثْبَانِهِ
بِمَا وَعَدَ بِهِ : إِنَّا نَقُوضُ إِلَيْهِ تَعَالَى كَيْفِيَّةَ ذَلِكَ ، وَبِذَلِكَ نَكُونُ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ" ٣٨ وإن كان
الشيخ رحمه الله تعالى يؤكد على أنه على منهج إلا أن الشيخ رحمه الله تعالى نسب لشيخ
الإسلام ابن تيمية إلا أنه نسب إلى ابن تيمية أنه يقول بأن آيات الصفات من المتشابهات ٣٩

من خلال السابق يتبين أن الشيخين رحمهما الله تعالى يتفقان إلى حد كبير في أصول تلقيهم
الأسماء والصفات، وعدم تأويلهما بل والرد على من تأول شيئا منها بصرفه عن ما تقتضيه قواعد
اللغة خاصة عند الشيخ رشيد خاصة إلا أنه أكد أيضا عدم اللجوء إلى التأويل في أكثر من
موضع أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد تابع شيخ الإسلام في منهجه وعدم تأويل آيات
الصفات مطلقا وتلقيها دون تحريف أو تأويل أو تعطيل. بل إثباتها كما جاءت.

٣٤ السابق (٣٧٣/٩)

٣٥ السابق (١٥٥/٩)

٣٦ السابق نفسه .

٣٧ السابق (٢١١/١)

٣٨ السابق (٢١٠/٢)

٣٩ السابق (١٣٧/٣)

الفصل الثاني

قضية التكفير بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد رشيد رضا رحمهما الله .

المبحث الأول: تعريف التكفير لغة واصطلاحاً

المطلب الأول: التكفير لغة:

لغة مأخوذ من الستر والتغطية، تقول العرب: كفر درعه بالثوب، أي ستره، ويقال للزارع كافر، لأنه يستر البذر - في التراب - عند حرثه، ويسمى الليل كافراً لستره ما يكون فيه، كما يقال للبحر كافر؛ لأنه إذا طمى غطى بعض أجزاء اليابسة، والكفر - أيضاً - ضد الإيمان، ورجل كافر: جاحد لأنعم الله، وجمع (الكافر) (كفار) و (كفرة) و (كفار) بالكسر مخففاً كجائع وجياع ونائم ونيام. وجمع الكافرة (كوافر). و (الكفر) أيضاً جحود النعمة وهو ضد الشكر (٤٠).

المطلب الأول: الكفر اصطلاحاً:

معنى الكفر اصطلاحاً: الكفر في الاصطلاح أو في الشرع لا يخرج عن المعنى اللغوي وهو النسبة إلى الكفر.

يقول ابن حزم (ت ٣٨٤هـ) - رحمه الله - معرفاً الكفر: وهو في الدين صفة من جحد شيئاً مما افترض الله تعالى الإيمان به بعد قيام الحجة عليه ببلوغ الحق إليه بقلبه دون سانه أو بلسانه دون قلبه أو بهما معاً أو عمل جاء النص بأنه مخرج له بذلك عن اسم الإيمان (٤١).

ويقول السبكي (ت ٧٥٦هـ) رحمه الله: التكفير حكم شرعي سببه جحد الربوبية أو الوجدانية أو الرسالة أو قول أو فعل حكم الشارع بأنه كفر وإن لم يكن جحداً (٤٢).

قال ابن الجوزي (ت ٥١٠هـ) وذكر أهل التفسير أن الكفر في القرآن على خمسة أوجه:

(٤٠) انظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، مادة (كفر)، (١٤٦/٥-١٤٧)، مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة، (ص: ٢٧١). المحكم والمحيط الأعظم مادة { ك ر ف } (٣ / ٧)، وتهذيب اللغة مادة (كفر) (٣ / ٣٦٣)، والقاموس المحيط (ص: ٦٠٥)، وأساس البلاغة للزمخشري (كفر) (ص: ٥٤٧)، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس مادة (كفر) الكاف والفاء والراء (١٩١ / ٥)، والقاموس المحيط للفيروز آبادي - فصل الكاف - ص ٦٠٥-٦٠٦. ولسان العرب لابن منظور مادة (كفر) (١٤٤ / ٥)، ومفردات غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٣٤. والمعجم الوسيط لجماعة من المؤلفين - باب الكاف (٧٩١/٢-٧٩٢)، والنهية في غريب الأثر - باب الكاف مع الفاء (٣٤٠ / ٤) (٤١) انظر: الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت، (١ / ٤٩-٥٠).

(٤٢) انظر: فتاوى السبكي، أبو الحسن تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي، دار المعارف، (٢ / ٥٨٦).

أحدها: الكفر بالتوحيد. ومنه قوله تعالى {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} (٤٣)، وقوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ} (٤٤). وهو الأعم في القرآن.

والثاني: كفران النعمة. ومنه قوله تعالى: {وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ} (٤٥)، وقوله تعالى: {وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ} (٤٦)، وقوله تعالى: {أَشْكُرْ أَمْ أَكْفُرْ} (٤٧).

والثالث: التبيري. ومنه قوله تعالى: {ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ} (٤٨)، أي: يتبرأ بعضكم من بعض. وفي الممتحنة: {كَفَرْنَا بِكُمْ} (٤٩).

والرابع: الجُود. ومنه قوله تعالى: {فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ} (٥٠).

والخامس: التغطية. ومنه قوله تعالى: {- أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ} (٥١)، يُريد الزراع الذين يغطون الحب (٥٢).

والكفر نوعان، أحدهما أكبر مخرج عن الملة، والثانية: كفر أصغر لا يخرج عن الملة وهو الكفر العملي (٥٣).

المبحث الثاني: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة

المطلب الأول: تحذير العلماء من التكفير:

حذر العلماء من التكفير والتجاوز فيه بغير دليل من الكتاب والسنة ولم يطلقوا القول فيه لعوام الناس، ولخطورة القول بكفر المسلم وما يتبعه من أحكام في الحال والمآل، فإن القرآن والسنة يحذران من إطلاق هذا الحكم من غير تبين ولا تثبت.

(٤٣) سورة: البقرة، الآية (٦).

(٤٤) سورة: الحج، الآية (٢٥).

(٤٥) سورة: البقرة، الآية (١٥٢).

(٤٦) سورة: الشعراء، الآية (١٩).

(٤٧) سورة: النمل، الآية (٤٠).

(٤٨) سورة: العنكبوت، الآية (٢٥).

(٤٩) سورة: الممتحنة، الآية (٤).

(٥٠) سورة: البقرة، الآية (٨٩)، وانظر: درء تعارض العقل والنقل ابن تيمية رحمه الله (١/١٤٠) و(١/١٤٢).

(٥١) سورة: الحديد، الآية (٢٠).

(٥٢) انظر: نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة - لبنان/ بيروت، الطبعة: الأولى، (ص: ٥١٦-٥١٧).
(٥٣) الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي الرسالة المفيدة (ص: ٤٥)، وناصر بن علي عابض حسن الشيخ في مباحث العقيدة في سورة الزمر (ص: ٣٨٧)

قال تعالى: {يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبئبئوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبئبئوا إن الله كان بما تعملون خبيراً} (النساء: ٩٤).

قال القرطبي: " معنى قوله: {فتبئبئوا} أي الأمر المشكل، أو تثبتوا ولا تعجلوا، المعنيان سواء، فإن قتله أحد فقد أتى منهياً عنه ". ٥٤

والنبي - صلى الله عليه وسلم - حذر من التكفير أشد التحذير فقال: ((إذا قال الرجل لأخيه: يا كافر، فقد باء بها أحدهما)). ٥٥

ويروي أبو ذر رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه قال: ((لا يرمي رجل

رجلاً بالفسوق، ولا يرميه بالكفر، إلا ارتدت عليه، إن لم يكن صاحبه كذلك)) ٥٦

قال ابن عبد البر: " فقد باء القائل بذنب كبير وإثم عظيم، واحتمله بقوله ذلك، وهذا غاية في

التحذير من هذا القول والنهي عن أن يقال لأحد من أهل القبلة: يا كافر". ٥٧

ويقول ابن دقيق العيد: " وهذا وعيد عظيم لمن أكفر أحداً من المسلمين وليس كذلك، وهي ورطة

عظيمة وقع فيها خلق كثير من المتكلمين، ومن المنسوبين إلى السنة وأهل الحديث لما اختلفوا

في العقائد، فغلظوا على مخالفيهم، وحكموا بكفرهم ". ٥٨

وفي بيان معنى الحديث قال الحافظ ابن حجر: " والتحقيق أن الحديث سيق لجزر المسلم من أن

يقول ذلك لأخيه المسلم ... وقيل: معناه رجعت عليه نقيصته لأخيه ومعصية تكفيره ... فمعنى

الحديث: فقد رجع عليه تكفيره، فالراجع التكفير لا الكفر، فكأنه كَفَّر نفسه لكونه كَفَّر من هو مثله

...

وقال القرطبي: .. والحاصل أن المقول له إن كان كافراً كُفِّراً شرعياً، فقد صدق القائل، وذهب بها

المقول له، وإن لم يكن رجعت للقائل معرّة ذلك القول وإثمه". ٥٩

وفي حديث آخر يشبه النبي - صلى الله عليه وسلم - تكفير المسلم بأعظم ذنب بعد الشرك

بالله، وهو تعمد قتل المؤمن، فيقول: ((ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله)). ٦٠ ورمي المسلمين

^{٥٤} تفسير القرطبي (٣٣٩/٥) تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م

^{٥٥} أخرجه البخاري برقم (٦١٠٣)/باب من كفر أخاه بغير فهو كما قال (٢٦/٨) تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر/ دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)

^{٥٦} أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٥) باب ما ينهي من السباب واللعن (١٥/٨)

^{٥٧} التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (٢٢/١٧) أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري /مؤسسة القرطبة

^{٥٨} إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام (٢١٠/٢) ابن دقيق العيد/مطبعة السنة المحمدية/ بدون تاريخ

^{٥٩} فتح الباري شرح صحيح البخاري (٤٦٦/١٠) أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي/ دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

^{٦٠} أخرجه البخاري برقم (٦٠٤٧)

بالكفر باب لشورر عظيمة، لعل أهونها أنه من التنايز بالألقاب الذي نهى الله عنه، قال تعالى: ﴿ولا تتنايزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان﴾ (الحجرات: ١١).

قال ابن عبد البر: "هو قول الرجل لأخيه: يا كافر يا فاسق، وهذا موافق لهذا الحديث [الحديث السابق]، فالقرآن والسنة ينهيان عن تفسيق المسلم وتكفيره [إلا] ببيان لا إشكال فيه".^{٦١} والتكفير استباحة لما حرمه الله من عرض المسلم، الذي أكد النبي - صلى الله عليه وسلم - على حرمة في خطبته العظيمة في حجة الوداع، فقال: ((فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، فليبلغ الشاهد الغائب)).^{٦٢} والقول بكفر المسلم من أعظم ما يقدر في عرضه، وهو مستتبع لهتك ماله ودمه.

قال العز بن عبد السلام: "الأصل [في المسلم] براءة ذمته من الحقوق، وبراءة جسده من القصاص والحدود والتعزيرات، وبراءته من الانتساب إلى شخص معين، ومن الأقوال كلها، والأفعال بأسرها".^{٦٣} ويقول ابن تيمية: "فليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إيمانه بيقين لم يزل ذلك عنه بالشك، بل لا يزال إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة"^{٦٤}.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب كذلك يقول: "ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنبه، ولا أخرج من دائرة الإسلام"^{٦٥} والشيخ محمد رشيد رضا يقول أيضاً لما رأى من كفرة ما رمت به الفرق الإسلامية بعضها بعضاً بالكفر "من أعظم ما بليت به الفرق الإسلامية، رمي بعضها بعضاً بالفسق والكفر، مع أن قصد كلِّ الوصول إلى الحق"^{٦٦} وقال أيضاً مستشهداً "بأبي حنيفة (١٥٠هـ) رضي الله عنه، بأنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة"^{٦٧}.

مما سبق يمكن القول بأن جُلَّ العلماء قد وقفوا من التكفير موقفاً حرجاً ولم يتجرؤوا على المضي قدماً في تكفير عموم المسلمين أو خواصهم وما ذلك الموقف منهم إلا لعلمهم اليقيني بما يترتب على إطلاق هذا الحكم وما يتعلق به من أحكام وعواقب، وفي المطلب القادم سنعرض بإذن الله تعالى ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة.

^{٦١} التمهيد (٢١/١٧) لابن عبد البر .

^{٦٢} أخرجه البخاري برقم (٦٧).

^{٦٣} قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٢٦/٢) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ) تحقيق: محمود بن التلاميذ الشنقيطي/ دار المعارف بيروت - لبنان

^{٦٤} مجموع الفتاوى (٤٦٦/١٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق/ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ط/ مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية

^{٦٥} أصول الإيمان (١٣) الإمام محمد بن عبد الوهاب، تحقيق باسم فيصل الجوابرة/ الطبعة: الخامسة/ وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية

^{٦٦} مجلة المنار (٤١/١٧)

^{٦٧} السابق نفسه

المبحث الثاني: ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة.

لم يترك العلماء حكم التكفير أو غيره من الأحكام التي تتعلق بعموم المسلمين دون تبين لها ووضع ضوابط محكمة لها حتى لا يقع الناس بجهلهم فيما حذر منه الله تعالى من القول عليه سبحانه بغير علم أو القول على رسوله فقال سبحانه (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنَنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ) أَلْ عَمْرَان (١٧٨).

ومن أجل ذلك الميثاق كان دأب العلماء دائماً وأبداً هو البيان عما في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وقد وضع العلماء عدة ضوابط بناءً على استقراء ما في الكتاب والسنة النبوية المطهرة وتلك هي الضوابط :

وينبغي التنبيه إلى أمرين قبل الحديث عن ضوابط تكفير المعين:

١- التفريق بين التكفير المطلق وتكفير المعين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية " لَكِنْ تَكْفِيرُ الْمُطْلَقِ لَا يَسْتَلْزِمُ تَكْفِيرَ الْمُعَيَّنِ؛ فَإِنَّ بَعْضَ الْعُلَمَاءِ قَدْ يَتَكَلَّمُ فِي مَسْأَلَةِ بَاجْتِهَادِهِ فَيُحْطِئُ فِيهَا فَلَا يَكْفُرُ؛ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَكْفُرُ مِنْ قَالَ ذَلِكَ الْقَوْلَ إِذَا قَامَتْ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ الْمَكْفُورَةُ" ٦٨

٢- تكفير المعين يلزمه توافر شروط وانتفاء موانع.

"اطلاق التكفير على المعين له شروط يجب توافرها وموانع يجب انتفاؤها عند توقيع حكم الكفر على الشخص المعين بالتكفير يقول شيخ الإسلام ابن تيمية "وَأَمَّا الْحُكْمُ عَلَى الْمُعَيَّنِ بِأَنَّهُ كَافِرٌ أَوْ مَشْهُودٌ لَهُ بِالنَّارِ: فَهَذَا يَقِفُ عَلَى الدَّلِيلِ الْمُعَيَّنِ، فَإِنَّ الْحُكْمَ يَقِفُ عَلَى ثُبُوتِ شُرُوطِهِ وَأَنْتِفَاءِ مَوَانِعِهِ" ٦٩.

ضوابط تكفير المعين:

١- شروط التكفير تنقسم إلى أقسام :

أ- شروط في الفاعل.

ويجب أن يكون عاقلاً بالغاً متعمداً لفعل الكفر مختاراً له.

ب- شروط في الفعل أو القول المكفر.

٦٨ الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤٧٤/٣) المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) / ط. دار الكتب العلمية/ الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م
٦٩ مجموع الفتاوى (٤٩٨/١٢) لابن تيمية / المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم/ ط. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ / ١٩٩٥م.

أن يكون فعله أو قوله ثبت بالأدلة الشرعية أنه كفرٌ أكبر أو شركٌ أكبر، وأن يكون هذا الفعل المكفر مما ذكر أهل العلم أنه فعل أو قول مكفر مخرج من الملة وكذلك يكون الفعل أو القول صريح الدلالة على الكفر، أي مشتمل على لفظ واضح مكفر بخلاف المحتمل من الألفاظ. ٧٠-٢ موانع التكفير .

المقصود بالمانع هو ما يلزم من وجوده عدم الحكم، ولا يلزم من عدمه الحكم أو عدمه. - وتتقسم موانع التكفير إلى ثلاثة أقسام:

أ- موانع تختص بالفاعل :وهي ما يعرض له بما يجعله غير مؤاخذ بأفعال وأقوال شرعا، وهي ما تسمى (بعوارض الأهلية) مثل الجهل أو الخطأ أو التأويل أو الإكراه .

ب- موانع تختص بالفعل المكفر: كون الفعل غير صريح في الكفر أو الدليل الشرعي غير قطعي الدلالة.

ج- موانع الثبوت: تمنع من ثبوت الفعل المكفر على المعين لكون أحد الشهود ليس عدلا غير مقبول الشهادة أو صغيرا لا يعتد بشهادته. ٧١

المطلب الثاني: ضوابط التكفير بين الشيخ محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد رشيد رضا.

في هذا المطلب سنتناول القواعد التي اتفق عليها الشيخان فيما بينهما حول التكفير خاصة تكفير المعين وضوابط هذا الحكم.

وقبل الحديث عن تلك القواعد نلفت النظر إلى أن الشيخ محمد رشيد رضا قد تأثر في موقفه من التكفير بموقف الدعوة النجدية دعوة الشيخ محمد بن الوهاب حيث شجع علماء الدعوة على نشر مقالاتهم في مجلته وأثنى عليهم وعلى منهجهم في التكفير فيقول عن رسالة " من رسائل إمام

نجد في عصره العلامة الشيخ عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى. ويُعلم منها ما عليه علماء نجد في مسألة تكفير المخالفين واحتياطهم فيها أكثر من سائر علماء

المذاهب الأخرى" ٧٢

أصول منهج التكفير بين الشيخين :

الأصل الأول: عدم التكفير إلا بدليل شرعي صحيح صريح.

٧٠ ضوابط تكفير المعين ص (٤١) أبو العلا بن راشد بن أبي العلا. مكتبة الرشد ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.

٧١ السابق ص(٤٥).

٧٢ مجلة المنار (٨٥٨/٢٧)(٥٠٥/٢٧)

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب " وكذلك لا نكفر من لا نعرف منه الكفر، بسبب ناقض ذكر عنه ونحن لم نتحققه" ٧٣. وأما تكفيره بالظن والشبهة فقد أبان عن موقفه قائلاً: "وأما ما ذكره الأعداء عني: أي أكفر بالظن، وبالموالاتة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة، فهذا بهتان عظيم، يريدون به تغيير الناس عن دين الله ورسوله" ٧٤، ويقول أيضاً: الذي نكفر: الذي يشهد أن التوحيد دين الله ودين رسوله، وأن دعوة غير الله باطلة، ثم بعد هذا يكفر أهل التوحيد، ويسميهم الخوارج" ٧٥. والشيخ لا يكفر إلا بنص صريح فيقول: "لا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنوب، وإنما نكفرهم، بما نص الله ورسوله، وأجمع" ٧٦. وقد ذكر عنه الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب، فقال: "الشيخ محمد - رحمه الله - من أعظم الناس تَوْقُفاً وإِحْجاماً عن إطلاق الكفر، حتى إنه لم يجزم بتكفير الجاهل الذي يدعو غير الله من أهل القبور أو غيرهم إذا لم يتيسر له أن ينصحه أو يبلغه الحجة التي يكفر تاركها". (٧٧) وقال عنه أيضاً: "وشئنا - رحمه الله - لم يخرج في مسألة من الأصول والفروع عما عليه أهل العلم الذين لهم لسان صدق في هذه الأمة". (٧٨) وقد ذكر الشيخ أنواعاً من الشرك واستدل عليها من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فيقول ردّاً على من احتج بأن من شهد أن لا إله إلا الله مسلم مهما فعل من أمور تخالف الشرع والنص الصريح "فيا عجباً من رجل يدعي العلم لا يعرف الإسلام من الكفر؛ ولا يعرف الفرق بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبين مسيلمة الكذاب. أما علم أن مسيلمة يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، ويصلي ويصوم أما علم أن غلاة الرافضة الذين حرقهم علي رضي الله عنه يقولونها؟! وكذلك الذين يقذفون عائشة، ويكذبون القرآن؛ وكذلك الذين يزعمون أن جبرائيل غلط وغير هؤلاء، ممن أجمع أهل العلم على كفرهم؛ منهم من ينتسب إلى الإسلام" ٧٩. ويقرر الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - أن تكفير المعين لا يحل إلا بانطباق الشروط، وانتفاء الموانع، ولهذا يقول شيخ الإسلام رحمه الله ما نصه: "إذا قال قولاً يكون القول به كُفراً فليقال: من قال بهذا القول فهو كافر. ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك لا يُحكّم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها" ٨٠ وذكر أيضاً أن

^{٧٣} الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس ص(٢٤))

المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦ هـ) المحقق: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، محمد بن صالح العقبلي. الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

^{٧٤} السابق ص(٢٥)

^{٧٥} السابق ص(٤٨)

^{٧٦} لدرر السنية في الأجوبة النجدية (٣٠٧/١) المؤلف: علماء نجد الأعلام المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة: السادسة، ١٤١٧ هـ/١٩٩٦ م

^{٧٧} الضياء الشارق في رد شبهات الماذق المارق (ص: ٣٧٢)، ودعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب سلفية لا وهابية (ص: ٢٨٧)، ومصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام (٢/١)، ودعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف (ص: ٢٠٨).

^{٧٨} مصباح الظلام في الرد على من كذب الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام (٣/٤٩٤)

^{٧٩} كتاب التوحيد (٤٤/٢) للشيخ محمد بن عبد الوهاب ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية.

^{٨٠} مجموع الفتاوى (٥٠١/٢٨) لابن تيمية /الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة (ص: ٢٦٤) عبد الله بن عبد الحميد الأثري مدار الوطن للنشر .

من سب الصحابة، واقترب بسببه دعوى أن عليا إله أو نبي، أو أن جبرائيل غلط، فلا شك في كفر هذا، بل لا شك في كفر من توقف في تكفيره" ٨١ وقال أيضا ظن أن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا كفر" ٨٢. مما سبق يتبين أن الشيخ لم يخالف الدليل الصحيح فيما ذهب إليه من توقيع الكفر بدليل صحيح صريح.

ولم يكن الشيخ محمد رشيد رضا بعيدا عن ذلك المنهج فقد سار أيضا وقف تلك القاعدة ولم يكفر أحداً إلا بناءً على دليل صحيح صريح، فيقول: "قَمَتِي كَانَ لِلْمُنْكَرِ سَنَدٌ مِنَ الدِّينِ يَسْتَنَدُ إِلَيْهِ فَلَا يُكْفَرُ (وَإِنْ ضَعُفَتْ شُبُهَتُهُ فِي الإِسْتِنَادِ إِلَيْهِ مَا دَامَ صَادِقَ النِّيَّةِ فِيمَا يَعْتَقِدُ ، وَلَمْ يَسْتَهِنْ بِشَيْءٍ مِمَّا ثَبَتَ بِالقَطْعِ وَرُودِهِ عَنِ المَعْصُومِ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -) " ٨٣.

وأما إذا جحد شيئا معلوم من الدين بالضرورة فإنه عندها يصبح كافرا كالكفر " بِاللَّهِ أَوْ بِوَحْدَانِيَّتِهِ وَصِفَاتِهِ ، أَوْ كُتْبِهِ وَرُسُلِهِ وَمَا جَاءُوا بِهِ عَنِ اللهِ تَعَالَى ، أَيْ إِنكَارُهُ وَعَدَمُ التَّصْديقِ بِهِ وَالإِدْعَان لهُ" ٨٤ وأما ما كان محلا للنظر والبحث فلا مجال فيه للقطع بكفر فاعله ومثال ذلك كلامه عند آيات الحكم بغير ما أنزل في سورة المائدة ٨٥ فيقول: " وَقَدْ اضْطَلَحَ عُلَمَاءُ الأُصُولِ وَالْفُرُوعِ عَلَى التَّعْبِيرِ بِلَفْظِ الكُفْرِ عَنِ الخُرُوجِ مِنَ المِلَّةِ ، وَمَا يُنَافِي دِينَ اللهِ الحَقِّ ، دُونَ لَفْظِي الظُّلْمِ وَالْفُسْقى ، وَلَا يَسَعُ أَحَدًا مِنْهُمُ إِنكَارُ إِطْلَاقِ القُرْآنِ لَفْظِ الكُفْرِ عَلَى مَا لَيْسَ كُفْرًا فِي عُرْفِهِمْ ، وَلَكِنَّهُمْ يَقُولُونَ : " كُفْرٌ دُونَ كُفْرٍ " ، وَلَا إِطْلَاقِهِ لَفْظِي الظُّلْمِ وَالْفُسْقى عَلَى مَا هُوَ كُفْرٌ فِي عُرْفِهِمْ ، وَمَا كُلُّ ظُلْمٍ أَوْ فُسْقى يُعَدُّ كُفْرًا عِنْدَهُمْ ، بَلْ لَا يُطْلَقُونَ لَفْظِ الكُفْرِ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا يُسَمُّونَهُ ظُلْمًا أَوْ فُسْقا ؛ لِأَجْلِ هَذَا كَانَ الحُكْمُ القَاطِعُ بِالكُفْرِ عَلَى مَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مَحَلًّا لِلبَحْثِ وَالتَّأْوِيلِ عِنْدَ مَنْ يُوقَفُ بَيْنَ عُرْفِهِ وَنُصُوصِ القُرْآنِ " ٨٦. ويستدل الشيخ رشيد على موقفه بقوله: "مَا عِلْمٌ مِنَ الدِّينِ بِالصَّرُورَةِ (بَعْدَمَا بَلَغَتْ الجَاحِدَ رِسَالَةَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بِلَاغًا صَحِيحًا ، وَعَرِضَتْ عَلَيْهِ الأَدِلَّةُ عَلَى صِحَّتِهَا لِيُنْظَرَ فِيهَا فَأَعْرَضَ عَنِ شَيْءٍ مِنَ ذَلِكَ وَجَحَدَهُ عِنَادًا أَوْ تَسَاهُلًا أَوْ اسْتِهْزَاءً ، نَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَمِرَّ فِي النَّظَرِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَمْ تَسْمَعْ أَنَّ أَحَدًا مِنَ الصَّحَابَةِ - رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ - كَفَرَ أَحَدًا بِمَا وَرَاءَ هَذَا، فَمَا عَدَاهُ مِنَ الأَفَاعِيلِ وَالْأَقَاوِيلِ المُخَالَفَةِ لِبَعْضِ مَا أُسْنِدَ إِلَى الدِّينِ وَلَمْ يَصِلِ العِلْمُ بِأَنَّهُ مِنْهُ إِلَى حَدِّ الصَّرُورَةِ - أَيْ لَمْ يَكُنْ سَنَدُهُ قَطْعِيًّا كَسَنَدِ الكِتَابِ - فَلَا يُعَدُّ مُنْكَرُهُ كَافِرًا إِلا إِذَا قَصَدَ بِالإِنْكَارِ تَكْذِيبَ النَّبِيِّ - صَلَّى

^{٨١} كتاب حكم المرتد للشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢٠/١٠) ضمن الدرر السنية في الأجوبة النجدية .

^{٨٢} السابق (٢١/١٠)

^{٨٣} تفسير المنار (١١٨/١)

^{٨٤} السابق نفسه .

^{٨٥} وهي الآيات (٤٤،٤٥،٤٧) من سورة المائدة .

^{٨٦} تفسير المنار (٣٣٣/٦)

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، فَمَتَى كَانَ لِلْمُنْكَرِ سَنَدٌ مِنَ الدِّينِ يَسْتَدُّ إِلَيْهِ فَلَا يُكْفَرُ (وَإِنْ ضَعُفَتْ شُبُهَتُهُ فِي
الِاسْتِتَادِ إِلَيْهِ مَا دَامَ صَادِقَ النِّيَّةِ فِيمَا يَعْتَقِدُ ، وَلَمْ يَسْتَهِنْ بِشَيْءٍ مِمَّا ثَبَتَ بِالْقَطْعِ وَرُودُهُ عَنِ
الْمَعْصُومِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -) " (٨٧) والشخ في هذا يوافق مذهب السلف فيذكر أن
الحجة في التكفير لابد وان تقوم ، فإن خالف فعندها يحكم بكفره فيقول: "ومن خالف بعد ثبوت
الحجة عليه فقد كفر" (٨٨) حتى أنه ذكر أن " كبار العلماء كأئمة الفقه الأربعة وشيوخهم من
السلف يعذرون كل من خالفهم في اجتهادهم ويصلون معه كما كان يفعل الصحابة - رضي الله
عنهم" (٨٩) ويستدل الشيخ رشيد على موقفه بموقف الغزالي (٥٠٥هـ) - رحمه الله تعالى - وما
جاء عنه في كتاب فيصل التفرقة بين الإسلام والزندقة وفيه يقول الغزالي " طعن طائفة من
الحسدة على بعض كتبنا المصنفة في أسرار معاملات الدين، وزعمهم أن فيها ما يخالف مذهب
الأصحاب المتقدمين، وأن العدول عن مذهب الأشعري، ولو في قيد شبر كفر، ومباينته ولو في
شيء نزر ضلال وخسر" (٩٠) وهكذا نجد الشيخ رشيد رضا يلتزم الأصول المتعارف عليها بين
أهل العلم في مسألة التكفير ويتفق مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذلك الأصل.

الأصل الثاني: عدم التكفير إلا بالمتفق عليه.

لم يخرج الشيخ ابن عبد الوهاب عن أصول هذه القاعدة بل التزم بها ولم يسارع في تكفير أحد
من المسلمين إلا بدليل متفق عليه بين أهل العلم، فقضية مثل تارك الصلاة مختلف فيها بين
أهل العلم فمنهم من يكفر تاركها ومنهم من لم يكفره، والشيخ رحمه الله يقول في تلك المسألة "
أركان الإسلام الخمسة، أولها: الشهادتان، ثم الأركان الأربعة. فالأربعة، إذا أقرّ بها وتركها
تهاوناً، فنحن - وإن قاتلناه على فعلها - فلا نكفره بتركها؛ والعلماء اختلفوا في كفر التارك لها
كسلاً من غير جحود. ولا نقاتل إلا ما أجمع عليه العلماء كلهم، وهو: الشهادتان. وأيضاً، نكفره
بعد التعريف إذا عرف وأنكر" (٩١) ويقول أيضاً: "فإن سمعتم أي أفتيت بشيء خرجت فيه عن
إجماع أهل العلم توجه عليّ القول" (٩٢) وكان يقول أيضاً تأكيداً علي موافقته المذاهب الأربعة
ما نصه: " كل إنسان نجادله بمذهبه؛ إن كان شافعيًا فبكلام الشافعية، وإن كان مالكيًا فبكلام

(٨٧) تفسير المنار (١/١١٨)

(٨٨) مجلة المنار (٢٩/٥٩٥)

(٨٩) مجلة المنار (١٣/٥٢٥)

(٩٠) السابق نفسه .

(٩١) فتاوى ومسائل (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء الرابع) (ص:٩) محمد بن عبد الوهاب بن سليمان
التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) تحقيق: صالح بن عبدالرحمن الأطرم، محمد بن عبدالرزاق الدويش: جامعة الأمام محمد بن
سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية
(٩٢) ينظر: الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس) (ص: ٢٦٥)، وعقيدة محمد بن
عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (١/٣٥٦)

المالكية، وإن كان حنبلياً أو حنفياً فكذلك، إذا أرسلت إليهم ذلك عدلوا عن الجواب" (٩٣) وهذا الذي اتخذه الشيخ منهجاً له هو عينه ما اتخذه شيخ الإسلام ابن تيمية حيث قال: "هذا ومع أي دائماً ومن جالسني يعلم ذلك مني أي من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسب مُعَيَّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية، التي من خالفها كان كافراً تارة، وفاسقاً أخرى، وعاصياً أخرى، وإنني أقرر أن الله قد غفر لهذه الأمة خطأها، وذلك يعم الخطأ في المسائل القولية، والمسائل العملية، وما زال السلف يتنازعون في كثير من هذه المسائل، ولم يشهد أحد منهم على أحد لا بكفر، ولا بفسق، ولا بمعصية" (٩٤).

والشيخ رشيد رضا رحمه يفضّل هذه المسألة ويبيّن ما يُكفّر وما لا يُكفّر، فيقول: "فالمعنى العام الجامع لكل ما ينافي ملة الإسلام هو تكذيب رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إلى جميع الناس أو تكذيب شيء مما علم المكذب أنه جاء من أمر الدين، وهو قسمان:

القسم الأول: المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة، ككون القرآن كلام الله تعالى، وتوحيد الله وتنزيهه عن النقص والولد والشريك في تدبير الكون أو العبادة كالدعاء والذبح والنذر له إلخ. وكون محمد هو خاتم النبيين. فهذا لا يعذر أحد بجهله إلا من كان حديث العهد بالإسلام لم يمض عليه زمن كاف لتعلم هذه الضروريات منه، ومن كان في حكمه كرجل أسلم في مكان أو بلد ليس فيه من المسلمين من يعلمه ذلك كله وطال عليه الزمن، وهو لا يعلم أن عليه واجبات أخرى ولا أنه يجب عليه الهجرة مثلاً.

القسم الثاني: ما كان غير مجمع عليه أو مجمعاً عليه غير معلوم من الدين بالضرورة كبعض محرمات النكاح وأحكام الموارِيث مثلاً مما لا يعرفه إلا العلماء فهذا يعذر من جهله، فإن علم شيئاً منه أنه من دين الله قطعاً صار حكمه حكم القسم الأول بالنسبة إليه" (٩٥).

ولنا أن نضرب مثلاً على قوله السابق في كونه لا يكفر إلا بما كان عليه إجماع أو وافقه جمهور العلماء في ذلك القول كقوله في حكم التارك للجنسية العربية الذي ينتسب إلى دولة أجنبية غير مسلمة فيقول: "قبول المسلم لجنسية ذات أحكام مخالفة لشريعة الإسلام خروج من الإسلام فإنه ردّ له، وتفضيل لشريعة الجنسية الجديدة على شريعته، ويكفي في هذا أن يكون عالماً بكون تلك الأحكام التي أثار غيرها عليها هي أحكام الإسلام" (٩٦). ومن أدلة ذلك في القرآن قوله تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا

(٩٣) ينظر: موسوعة مؤلفات الإمام محمد بن عبد الوهاب (٨ / ٨٧)، والرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن

عبد الوهاب، الجزء السادس) (ص: ١٤٤)

(٩٤) مجموع الفتاوى (٢٢٩/٣) لابن تيمية، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم.

(٩٥) مجلة المنار (٣٥٥/٣٤)

(٩٦) السابق (٢١/٢٥)

بَعِيداً * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُتَنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُوداً { (النساء : ٦٠-٦١) . الطاغوت مصدر الطغيان ومثاره ، ويدخل فيه كل ما خالف ما أنزله الله ، وما حكم به رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإنه جعل مقابلاً له هنا في آيات أخرى ومنه بعض أحكام القانون الفرنسي كإباحة الزنا والربا(٩٧) ولم ينفرد الشيخ رحمه الله تعالى في هذا الحكم وحده بل وافقه عدد من العلماء في زمنه منهم الشيخ علي محفوظ (ت ١٩٤٢م) (٩٨) والشيخ يوسف الدجوي (ت ١٩٤٦م) (٩٩) والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (ت ١٩٤٨م) (١٠٠) واستندوا إلى مثل ما استند إليه الشيخ رشيد (١٠١) .

مما سبق يتبين أن الشيخ رشيد رضا لم يخرج عما اتفق عليه العلماء من قبله وإن كان لنا تعليق على هذا الحكم فينبغي التفريق فقط بين حال المختار والمضطر الذي يختار الدخول تحت حكم تلك الدول وقبول أحكامها. (١٠٢)

الأصل الثالث: التفريق بين التكفير المطلق، وتكفير المعين.

يفرق الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى بين التكفير المطلق وتكفير المعين فيقرر: أن من قال كذا أو فعل كذا فهو كافر، لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول، أو فعل ذلك الفعل، لا يحكم بكفره بعينه، حتى تتم جميع الشروط، وتتقي جميع الموانع. وإذا انطبقت الشروط، وانتقت الموانع، في حق الشخص المعين فقد قامت عليه الحجة، التي يكفر تا ركها. (١٠٣)

ومنهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب هو عينه منهج شيخ الإسلام ابن تيمية الذي يقول: "الْوَاجِدُ الْمُعَيَّنُ لَا يَكْفُرُ إِلَّا بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ الَّتِي يَكْفُرُ تَارِكُهَا" (١٠٤) فالشيخ ابن عبد الوهاب يقول "ومسألة تكفير المعين مسألة معروفة، إذا قال قولاً يكون القول به كفراً، فيقال من قال بهذا القول فهو كافر، ولكن الشخص المعين إذا قال ذلك، لا يحكم بكفره، حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها" (١٠٥) ويؤكد ذلك بأنه "من صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله، فهو مشرك كافر،

(٩٧) السابق نفسه.

(٩٨) من كبار علماء الأزهر: فقيه واعظ، له مؤلفات. الأعلام (٣٢٣/٤) ومعجم المؤلفين (١٧٥/٧).

(٩٩) مدرس من علماء الأزهر: فقيه مالكي، مفتي مجلة الأزهر، له مؤلفات. الأعلام (٢١٦/٨)، ومعجم المؤلفين (٢٧٢/١٣)

(١٠٠) محمد عبد العظيم الزرقاني من علماء الأزهر بمصر. من أهالي الجعفرية في المحافظة الغربية من مصر. ونسبته إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية. ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري. تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسا لعلوم القرآن والحديث. توفي عام (١٩٤٨م) ومن كتبه: مناهل العرفان في علوم القرآن.

(١٠١) انظر: نص فتوى الشيخ يوسف الدجوي، مجلة المجمع الفقهي (٤/٢) ص (١٥٨-١٦٣) ونص فتوى الشيخ علي محفوظ والشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني، مجلة المجمع الفقهي (٤/٢) ص (١٦٦-١٧٠).

(١٠٢) يمكن التعرف على أحكام هذه الحالات والتفريق بينها انظر: التجنس بجنسية غير إسلامية إعداد الشيخ محمد الشاذلي النيفر بحث منشور بمجلة المجمع الفقهي (٤/٢) ص (٢٣٥ وما بعدها) (٢٤١ وما بعدها)

-٢٠٠٥م.

(١٠٤) مجموع الفتاوى (٣٥٢/٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ) المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم

(١٠٥) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (٢٤٤/٨). منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير ص (٦٠) أحمد بن جزاع بن محمد الرضيمان.

وهذا الحكم إنما هو على الإطلاق وعلى من بلغته الحجة، وأما الشخص المعين فإذا حصل منه صرف شيء من أنواع العبادة لغير الله، كدعاء الأموات والاستغاثة بهم، وهو جاهل فإنه يتوقف في تكفيره حتى يُبين له ونقام عليه الحجة". (١٠٦)

من خلال السابق يتبين لنا أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب يفرق بين تكفير المعين وتكفير المطلق حيث إنه اشترط قيام الحجة على المعين حتى يتم تكفيره.

وأما الشيخ محمد رشيد رضا فلم يغفل عن تلك القاعدة العظيمة حيث ذكر ما يثبت تفرقه بين إطلاق لفظ التكفير على العامة وإطلاقه على المعين حيث قال: "قد ينقل عن أحدهم أنه كفر من قال بعض الأقوال، ويكون مقصوده أن هذا القول كفر ليحذر، ولا يلزم إذا كان القول كفرًا أن يكفر كل من قاله مع الجهل والتأويل، فإن ثبوت الكفر في حق الشخص المعين كثبوت الوعيد في الآخرة في حقه، وذلك له شروط وموانع" (١٠٧) فالشيخ يميز منهجه ومنهج أهل السنة بالضوابط وكونه ليس فوضويًا مثل منتهج أهل البدع فيقول أيضًا: "فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضًا، ومن مبادئ أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون" (١٠٨) إضافة إلى التمسك بما كان عليه السلف الصالح في التعامل مع مثل هذه الحالات من إطلاق لفظ الكفر دون ضابط قيام الحجة فيقول: "وإن كان الواحد المعين لا يُكفر إلا بعد قيام الحجة التي يكفر تاركها" (١٠٩) كذلك مراعاة الشبه التي قد ترفع الحكم عن الشخص وتزيله فيؤكد على عدم المسارعة في ذلك الحكم فذكر أن "تكفير الشخص المعين لا يصح إلا بحكم يبنى على ثبوت الردة مع مراعاة درء الحدود بالشبهات، كالتأويل والجهل فيما يعذر به الجاهل ونحو ذلك، ولهذا يحتاط جميع العلماء فيه ويشددون في النهي عن تكفير الشخص المعين" (١١٠).

والشيخ محمد رشيد رضا قد ظهر تأثره الواضح بالدعوة النجدية إضافة إلى فتحه لدعاتها بالكتابة في مجلته مجلة المنار وما ذكره من دفاع عن تلك الدعوة فذكر ما يلي: "والحق أن هؤلاء الذين سموهم بالوهابية من أتباع إمام السنة الأكبر أحمد بن حنبل رضي الله عنه، وإنني اطّعت على أكثر كتبهم وفتاويهم فلم أرهم يخالفون مذهبهم إلا في شيء واحد وهو أنه إذا صح الحديث - بخلاف الصحيح في المذهب- وأخذ به الأئمة الثلاثة أو اثنان منهم فإنهم يرجحون العمل به على الصحيح في المذهب .

(١٠٦) شرح شروط الصلاة وأركانها وواجباتها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تأليف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ص(٧٠) الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية/الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥ هـ.

(١٠٧) مجلة المنار (١٢١/٢٢).

(١٠٨) السابق نفسه. (١٠٨) منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير، ص(٥٩) إعداد: أحمد بن جزار بن محمد الرضيمن، دار لفضيلة الرياض السعودية ١٤٢٦ هـ.

(١٠٩) السابق (٣٣/٢٦)

(١١٠) السابق (٦٨٣/٣٢)

وأما التكفير فلا يأخذون فيه إلا بما أجمع عليه المسلمون . بهذا صرح المجدد الشيخ محمد عبد الوهاب وغيره من أولاده وأحفاده رحمهم الله تعالى .
وهم يفرقون بين بيان ما هو كفر بالقول والكتابة وبين الحكم به على الشخص المعين ومعاملته معاملة المرتدين بالفعل فقد صرحوا بأن الشخص المعين يمكن أن يكون متأولاً ، وأن يكون في ارتكاب بعض المكفرات معذوراً بالجهل ، ولم يبلغنا أن حكومتهم قد أقامت حد الردة في الحجاز على أحد ممن ينكرون عليهم بعض أقوالهم ويقولون لهم : إنها شرك بالله تعالى، مع العلم بأنهم يقيمون الحدود الشرعية .

وقد أجمع علماء المسلمين على تكفير من يشرك بالله تعالى أحدًا من خلقه ملكًا كان أو نبيًا أو حيوانًا أو نباتًا أو جمادًا بتوجيه أي عبادة إليه مما يقصد به القرية وطلب النفع أو دفع الضر من غير طريق الأسباب ولا سيما الدعاء الذي هو مخ العبادة ، والتضرع في الشدائد ، وتقريب القرابين ، فما كان من هذه التعبدات عمليًا فهو لا يحتمل التأويل ، وما كان منها قوليًا فمنه ما يحتمل التأويل ، وقد يخطئ بعض علماء الوهابية كغيرهم في بعض المسائل التي تحتمل ذلك والتي لا تحتمله .

ولكن لا ينكر أحد عرف حالهم وبلادهم أنهم طهروها مما كان فاشيًا فيها من الشرك بعبادة القبور والشجر والحجر ، ومن البدع والخرافات التي أجمع المسلمون على بدعيّتها ، فضلاً عن المعاصي المعروفة وترك الفرائض . فهي بهذا تفضل هذه البلاد وغيرها من بلاد الإسلام . وإن ما ينكره العالم المسلم على أهلها مما لا يخلو منه قوم من الأقوام فهو دون ما ينكر على غيرهم" (١١١)

المبحث الثالث: موقف الشيخين من فتنة التكفير

المطلب الأول: تحذير الشيخين من التكفير .

كما سبق فقد بيّنا موقف علماء السلف من التكفير وتحذيرهم من التردّي في تلك الفتنة العظيمة وعدم القدوم عليها وكذلك بيّنا ضوابط هذا الأمر على سبيل الإجمال؛ حتى تكون الأمور واضحة المعالم عند التعرض لكلام كلا الشيخين (محمد بن عبد الوهاب والشيخ محمد رشيد رضا رحمهما الله) .

(١١١) مجلة المنار (٧٤٥/٣١).

أما الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقد كان كثيراً ما يتورع عن تكفير أحد من عموم الناس لمجرد خبر بلغه أو فعل فعله أو معصية وقعت منه فيقول مثلاً "ولا أكفر أحدًا من المسلمين بذنوب، ولا أخرج من دائرة الإسلام" وكما أن الشيخ لا يُخرج أحدًا من دائرة الإسلام فكذلك ينفى عن نفسه أن يكون له من أمر ذلك شيئاً في أن يقطع لأحدٍ بالجنة أو النار فقال: "ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنةٍ ولا نارٍ إلا من شهد له رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولكنني أرجو للمحسن، وأخاف على المسيء". وأيضاً قال رحمه الله تعالى "أنا من أعظم الناس نهياً عن أن ينسب معين إلى تكفير أو تبديع أو تفسيق أو معصية، إلا إذا علم أنه قد قامت عليه الحجة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً"

وأما الشيخ رشيد رضا رحمه الله فكان شديد التوقف عند هذه المسألة ولا يتجرأ على القول فيها دون علم وبيان وتبين لحالة المكفر فيقول رحمه الله تعالى "توسع بعض الفقهاء في مسائل التكفير، وما يكون به المسلم مرتدًا، حتى إننا إذا سلمنا بكل ما قالوه؛ لا يكاد يسلم لنا أحد نسميه مسلمًا في هذا العصر، وقد لاحظ الشيخ رشيد أن المتأخرين قد تجرأوا على التكفير بما لا يكفر، وحتى بعض المصنفين قد زادوا من هذه الجرأة لدى الناس على تكفير من يخالف مذهبهم فالإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره من الله تعالى، والإسلام: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إلى ذلك سبيلًا، هكذا فسّرهما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فمن صدق عليه هذا التفسير كان مؤمنًا مسلمًا لا يخرج من الإسلام إلا تكذيبه لشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من أمر الدين عالمًا أنه جاء به غير متأول فيه، وما عدا ذلك من مخالفة أحكام الدين بالقول أو الفعل أو الاعتقاد يعد خطأً، وسببه الغالب الجهل ومن الجهل ما يعذر صاحبه فيه كجهل الدقائق والأمور الخفية ومنها ما لا يعذر فيه إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام كتحریم الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق والقول على الله بغير علم، والحساب على الله تعالى.

وقد مضت سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وسيرة أصحابه رضي الله عنهم بتحاشي تكفير أحد ممن يُظهر الإسلام ويصلي إلى القبلة وإن ظهرت عليه آيات النفاق، وكانوا يعذرون من أخطأ في شيء من أمر دينه ويتطفون في تعليمه وما زال أمر المسلمين على هذه السنة حتى

ظهر فيها الابتداع وصار لأهله فرق وشيع يدعون إليها ويناضلون دونها، فكان منهم أن كفروا من يخالفونهم فيما انفردوا به، وإن كان المخالفون هم السواد الأعظم الذين نقلوا الدين بالقول والعمل وحافظوا عليه قبل ظهور تلك البدعة.

فالأئمة متفقون على عدم تكفير أحد يشهد بوحدانية الله تعالى ويصدق رسوله محمد صلى الله عليه وسلم في جميع ما جاء به عن ربه عز وجل وإن خالف في مباحثه ما هو المشهور عنهم، بل وإن خالف النصوص متأولاً لا جاحداً، وقد صرح بعض فقهاءهم بناءً على ذلك الأصل المجمع عيه عند السلف (عدم تكفير أحد من المسلمين) بأنه إذا وجد منه قولٌ قويٌّ بكفر أحد وقول واحد ضعيف بإيمانه فيجب أن يفتى بهذا القول ويحكم بإيمانه. وقد عزی الشيخ تلك الفتنة وقد أطلق عليها عدوى إلى أن " الذي سهّل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف المزاج الديني عند المسلمين بجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف المزاج استعد لقبول المرض كما هو معلوم " .

تعليق علي ما سبق :

مما سبق يتبين لنا أن موقف الشيخين لا يختلف مع من سبقهم من علماء السلف الصالح في التحذير الشديد من فتنة التكفير وإطلاق التكفير على عموم المسلمين أو خاصتهم .

خاتمة البحث

من السابق يتضح لنا توافق الشيخين فيما ذهبوا إليه حول مفهوم توحيد الربوبية وتلازمهما وعدم انفكاكهما وكون صاحبه لا ينفعه ذلك ما لم يأت بلازمه من توحيد الألوهية والذي هو معنى (لا إله إلا الله).

ويتضح لنا موقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الأسماء والصفات، وكيف أنه كان على منهج السلف الصالح في قبول تلك الصفات وعدم تأويلها أو تحريفها .

أن جُلّ العلماء قد وقفوا من التكفير موقفا حرجا ولم يتجرؤوا على المضي قدما في تكفير عموم المسلمين أو خواصهم وما ذلك الموقف منهم إلا لعلمهم اليقيني بما يترتب على إطلاق هذا الحكم وما يتعلق به من أحكام وعواقب ، .

ولقد كان بين الشيخين كثير من الأمور والقضايا المشتركة والتي حاولت جاهدا أن أجمع كلام الشيخين حولهما ولقد اخترت قضيتين هما الآراء الاعتقادية و قضية التكفير وما يتعلق به من الحكم بغير ما أنزل الله والتي نرى آثارها في عصرنا الحالي والتي تتم عن جهل تام بنصوص الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم، وهؤلاء لم يتعلموا من الكتاب ولا السنة شيئا إلا التكفير بالشبهة والحجة هو أنه وحدهم هم الذين سيعيدون الخلافة مرة أخرى ولقد كان موقف الشيخين غاية في الوضوح والبيان فكان كلاهما يحذر من فتنة التكفير بغير وجه حق وأن أهل العلم المعتبرون هم من يقومون بذلك العمل بعد انتفاء الموانع وتوفر الشرط لتكفير المعين.

قائمة المراجع والمصادر

القران الكريم

السنة النبوية

- ١- الفتاوى الكبرى لابن تيمية المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) / ط. دار الكتب العلمية / الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- ٢- شرح شروط الصلاة وأركانها وواجباتها لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تأليف: عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد البدر، ص(٧٠) الناشر: فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية/الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ.
- ٣- مجلة المنار محمد رشيد رضا .
- ٤- منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب في مسألة التكفير، إعداد: أحمد بن جزاع بن محمد الرضيمن، دار لفضيلة الرياض السعودية ١٤٢٦هـ.
- ٥- الرسائل الشخصية (مطبوع ضمن مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الجزء السادس ، المؤلف: محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي النجدي (المتوفى: ١٢٠٦هـ) المحقق: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، محمد بن صالح العقيلي . الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٦- الدرر السنية في الأجوبة النجدية المؤلف: علماء نجد الأعلام المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، الطبعة: السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م.
- ٧- الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة عبد الله بن عبد الحميد الأثري ، مدار الوطن للنشر .
- ٨- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، مادة(كفر)، (١٤٦/٥ - ١٤٧)،
- ٩- مختار الصحاح، زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة: الخامسة.

- ١٠- الإحكام في أصول الأحكام، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاكر قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
- ١١- الجامع في أحكام القرآن ، القرطبي ، تحقيق أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر : دار الكتب المصرية - القاهرة الطبعة : الثانية ، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م
- ١٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى : ٤٦٣هـ) تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي و محمد عبد الكبير البكري / مؤسسة القرطبة
- ١٣- ضوابط تكفير المعين ، أبو العلا بن راشد بن أبي العلا. مكتبة الرشد ٢٠٠٤م/١٤٢٥هـ.
- ١٤- محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه ، أحمد بن حجر بن محمد بن طامي/ مطبعة الحكومة بمكة المكرمة الطبعة: ١٣٩٥ هـ/١٩٧٥م
- ١٥- الدرر السنية في الكتب النجدية تأليف : علماء نجد الأعلام من عصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عصرنا هذا دراسة وتحقيق : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الطبعة : السادسة، ١٤١٧هـ/١٩٩٦م

الفهارس

٢	المقدمة.....
٣	أسباب اختيار الموضوع.....
٣	أهمية الموضوع.....
٣	أهداف الدراسة.....
٤	منهج البحث.....
٤	خطة البحث
	الفصل الأول : الآراء الاعتقادية بين الشيخين
٦	المبحث الأول: توحيد الربوبية.....
٨	المبحث الثاني: توحيد الألوهية.....
	المبحث الثالث: الأسماء والصفات..... ١٢..
	الفصل الثاني بعنوان : قضية الكفر بين الشيخين،
١٦	المبحث الأول : تعريف الكفر لغة واصطلاحاً.....
١٧	المبحث الثاني : ضوابط الكفر عند أهل السنة والجماعة.....
	المبحث الثالث: موقف الشيخين من فتنة الكفر..... ٢٨
	الخاتمة..... ٣١